اكبر تظاهرة ثقافية تقيمها (المدى)

اليوم افتتاح معرض الكتاب الدولي في اربيل

محمد درويش علي

يفتتح في اربيل اليوم الاربعاء الثاني من نيسان معرض اربيل الدولي للكتاب ويستمر لغاية يوم الجمعة الحادي عشر من هذا الشهر. ويشارك في المعرض اكثر من ثلاثمائة دار نشر عربية واجنبية ، وبالاف العناوين الادبية والفنية والعلمية والتاريخية والفلسفية واقامة معرض كهذا يشكل اهمية استثنائية كبيرة ، لان الكتاب هو السلاح الوحيد ، في حركة التاريخ ، وهو المنطلق نحو افاق المستقبل الرحبة . ولو عدنا الى التاريخ لوجدنا ان الكتب هي التي غيرت ، وهي التي دفعت بالانسان نحو تغيير واقعه والبدء بمرحلة جديدة ، ربما اكملها من جاء بعده .

والمثقف العراقي همه الكتاب، ودون الكتاب يبقى كنبتة في الصحراء ، يابسة وتذوي في الاخير . وطوال تأريخ هذا المثقف كانت يبحث عن الجديد وغير المألوف .

يريد ان يطلع ويقرأ ويفهم مايجري هنا وهناك ، حتى بات قارئاً مميزاً يشار اليه في كل وقت ، وفي أي مكان محاصرا بأصحاب دور النشر العربية ان يفكروا حينما يقدمون على طبع كتاب ، التفكير بالقارىء / المثقف العراقي ، لانه السوق الرائجة لهذا الكتاب وبنى سوق المتنبي شهرته على ذائقة القارىء ، المثقف العراقي ، اذ ضم الاف العناوين من كتب التراث والتاريخ والادب والفلسفة . وفي السنوات العجاف ، حينما اوصدت الابواب بوجه الكتاب لجأ اصحاب المكتبات في هذا السوق وباقي اسواق الكتب والقرطاسية ، الى استنساخ الكتاب القادم من خارج الحدود ، الهارب من عيون الرقباء ، ليبدأ هذا المثقف رحلة جديدة في الاطلاع والقراءة.

اليوم وفرت المدى مايحتاج اليه المثقف العراقي ، وربما اكثر (وان كنت متيقنا من ان أي مثقف عراقي لو امتلك المعرض بكامله ، لاحتاج المزيد) في معرض اربيل الدولي ، وفتحت افاقاً جديدة ، يتسرب منها الكتاب الينا / واذا ماكان المثل العراقي يقول عن الذهب : زينة وخزينة ، فان الكتاب للمثقف العراقي ، هو زينة وخزينة . اذا زينتنا هذه الايام في اربيل وكذلك خزينتنا ، تمد عليهما المدى اجنحة المحبة والالفة .

المهم بودي لو ان كل المتحدثين بالمجان في الفضائيات العربية ، ضد العراق ، ان يروا ويتابعوا هذه الفعالية الثقافية الكبيرة . ومتلهف لمعرفة في اية خانة او اتجاه يضعون هذا الفعل المتقدم ، الذي يعكس حقيقة العراقي ، الذي يريد التواصل ، بل يصر عليه برغم كل الظروف والمعاناة . أليس في هذا استثناء عن كل العالم ، وصرخة تشبث بالحياة والوطن ؟!

لذلك اراد عدد من المثقفين العراقيين ، التعبير عن ارائهم في اقامة هذا المعرض ، قبل انطلاق فعالياته . ومازالت هنالك اتصالات من سواهم للتعبير عن روح المساهمة وابداء الرأي . واذا ماكانت هذه الاراء فأنها ليست كل الاراء.

(المدى) تستطلع اراء المثقفين العراقيين

فرصة للحوار بين الناشرين والمؤلفين

تحدث الينا اولا الناقد فاضل ثامر ، رئيس اتحاد الادباء والكتاب في العراق قائلا :

احيي المبادرة التي تقوم بها مؤسسة المدى مشكورة بتنظيم معرض دولي للكتاب في مدينة اربيل ، وهو جزء من نشاط واسع عودتنا عليه مؤسسة المدى ، يتمثل في اقامة مهرجان المدى الثقافي السنوي ، ونهارات المدى الشهرية وغيرها من الفعاليات الثقافية والفنية الاخرى ، ونظراً لحرمان القارىء العراقي من تنظيم معارض دولية كبرى في بغداد ، فأن تنظيم هذا المعرض الدولي ، سيوفر للمكتبة العراقية ، وللمؤسسات الجامعية والثقافية المختلفة مراجع علمية وسياسية واقتصادية وثقافية هو احوج مايكون اليها ، وبشكل خاص اذا ماضمنا مشاركة عدد من دور النشر الاجنبية لان الكتاب الاجنبي لم يدخل العراق طوال ثلاثة عقود اتطلع الى ان يكون هذا المعرض فرصة طيبة لاقامة حوارات بين الناشرين والمؤلفين وان تقام على هامشه وفي اروقته فعاليات وندوات ثقافية على غرار مايجري في معرض الكتاب في القاهرة او في معارض الكتاب الدولية في فرانكفورت وباريس ولندن .

حوار بين الثقافة العراقية والعربية

وكان للقاص والباحث ناجح المعموري رأيه المتحمس لمثل هكذا فعالية وهو يقول :

تمثل اقامة معرض عربي واسع في اربيل عاصمة كردستان / خطوة جديدة في مشروع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون لتحريك وتفعيل الحياة الثقافية والفكرية والفنية في العراق ويتبدى ايضا عن رغبة المؤسسة الصادقة ، للانفتاح على الثقافات والمعارض لان برنامج المؤسسة ومشروعها الثقافي والفكري يدرك جيداً ، ان الثقافة تعددية وتنوعية لذا فتحت بابا للتحاور بين الثقافة العراقية والثقافة العربية والعالمية .

كما ينطوي هذا الفعل الثقافي المهم ، على مجموعة اشارات واضحة للذين مازالوا يرفعون اصواتهم نباحا وعواء على النظام المقبور وكذلك ايضا عليهم ان يعرفوا جيدا بأن فضاء الحرية الجديد يؤكد على توفر فرص عالية لتجنيد كل الطاقات المتوفرة لدى الادباء والمثقفين على الرغم من اختلاف وتباين وجهات نظرهم الثقافية والفكرية ،لدعم التحولات السياسية والعمل على تكريسها وتطويرها ولابد لي من الاشارة ، الى ان مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الاهلية ، ذات البرامج الثقافية والفنية اكثر اهتماما بأنشغالات الادباء والمثقفين من وزارة الثقافة ، بشطريها . وهنا احيي مبادرة مؤسسة المدى التي مازالت حريصة على الثقافة العراقية ، والعمل بهدوء تام من اجل برنامجها الوطني والديمقراطي ولاغرابة في ان تقيم هذه المؤسسة معرضا شاملا في اربيل وتومىء لنا مؤكدة بأن الثقافة العراقية واحدة مثل العراق ، بتوجهاتها واهتماماتها وهذا لايعني الغاء للعناصر المتنوعة والخصائص المتباينة واللتين معا تشكلان ابرز ملامح الثقافة الوطنية الديمقراطية في العراق ، وانا سعيد جدا بان يكون اقليم كردستان هو الحاضنة للثقافة والفنون والفعاليات لان هذا ينطوي ضمنا على الذين مازلوا يراهنون على الماضي وعلى وظائفه المندثرة لذا اعتقد بان هذا المعرض الشامل والمهم يتبدى عن اجواء الامن والسلام والحرية وتسيد الديمقراطية في كردستان هذا الاقليم الذي نتمنى له ان يكرس تجربته ضمن وحدة عراقية وينفتح متحاورا مثلما عهدنا ذلك مع الاطياف والتنوعات الثقافية والفكرية في العراق ويأتي مثل هذا المشروع الثقافي الكبير ردا على التجاوزات والاعتداءات المتكررة والتي تنطوي ايضا على فزع من تجربة كردستان السياسية الجديدة وايضا ينطوي على اشعار واضح بان التحولات الجديدة في العراق والتكريس السياسي في كردستان يفضيان الى اجواء ثقافية وفكرية جديدة وسليمة ونتمنى على الحكومة العراقية ووزارة الثقافة حصرا الانتباه لهذه التجارب المتكررة والتي كان معرض الكتاب اخرها وكل الشكر والامتنان للمدى ولكادرها وللعاملين فيها على ماحققت من اسابيع للمدى ونهارات ودعم للادباء والمثقفين وتكافل مع الشباب في توفير مايساعدهم على التأهل الاجتماعي .

المدى (وزارات) للثقافة العراقية

اما الاكاديمي والباحث المعروف د . محمد حسين الاعرجي فقال :

أي نشاط ثقافي الان في العراق ، مدعاة للفرح ودليل على تحد للاوضاع الامنية واعمال العنف واستطيع القول ان مؤسسة المدى قد اصبحت (وزارات) للثقافة العراقية وليست وزارة واحدة .

ولم اطلع على أي معرض من هذا النوع طوال حياتي الا بأستثناء معرض فرانكفورت ، لان معظم دول العالم تشارك فيه . واعد معرض اربيل ومعرض القاهرة شيئين مشابهين لأهمية هذا المعرض الذي اتمنى له النجاح وللمدى الازدهار ولاقليم كردستان الاستقرار الدائم .

اشاعة روح الثقافة الصحيحة

ولم يكن الاكاديمي والمخرج الفنان د. حسين علي هارف ببعيد عن المشهد اذ قال :

الترويج لبضاعة حيوية وغنية كالكتاب امر مشرف ويدعو للفخر في ظل كساد في تداول الكتاب وقراءته بهذا سيكون المعرض تحريكا لساكن ثقافي خطير، وكأنه حجرة في بركة اللاقراءة واعتقد الان تحتاج الى اكثر من جهد في هذا المجال ، لتحريض الشباب على فعل القراءة ، ليكونو كما كان شباب العراق في عقود سابقة بعلاقتهم الغرامية مع الكتاب وماهذا المعرض الشامل الذي تتبناه وتقيمه المدى ، الا اشاعة لروح الثقافة الصحيحة التي تريدها ، في ظل ظروفنا المعقدة المعروفة .

عرس معرفي بين الكتاب والمتلقي

وكالعادة ابدى الروائي والمسرحي والاعلامي عباس لطيف رأيه في المعرض وقال فيه :

لعل من بديهي القول ، ان مايجري في اربيل متمثلا بمعرض الكتاب الدولي ، الذي تشرف عليه وتقيمه مؤسسة المدى ، هو عرس معرفي يفض اشكالية كبيرة كانت تتعاظم مابين المتلقي والكتاب تلك الاشكالية التي عانى منها المثقف العراقي ، في سنوات خلت ، وهو يروم الحصول على كتاب جديد ،ويتحايل للوصول اليه ، ومن ثم استنساخه لمواجهة تطور العصر ومواكبة كل ماهو جديد ومتعال في الفلسفة والرواية والتاريخ والقصة وكل الاجناس الادبية الاخرى .

اليوم توفر المدى للقارىء العراقي والمثقف العراقي مايريد من خلال ثلاثمائة دار نشر عربية واجنبية لتعزيز التوجه الثقافي لديه ، ومغادرة شرنقة البطالة الفكرية التي يريدها له البعض من خارج الحدود ، لتكون المعرفة المطرقة التي يضرب بها كل زاوية من زوايا العتمة ،ليفتح كوة يدخل من خلالها النور الى ارجاء الحياة عنده . السعادة تأخذني اليها وانا اسمع بهذا المعرض ، واتابع العناوين التي تعرض فيه ، والفعاليات التي تقام على هامشه . ولو جئنا الى دول لها باع طويل في الترجمة والنشر وتصدير الكتاب لكان من الصعب عليها القيام بتنظيم مثل هكذا معرض لكن المدى وبفضل تخطيط ومتابعة رئيسها الاستاذ فخري كريم تقوم بذلك ، وانا على يقين من ان هنالك مفاجآت اخرى تقدمها لنا المدى بعد هذا المعرض ، وهي تصب في خدمة الحركة العراقية حتماً .

نتمنى نشر النتاج الثقافي في اربيل

أما الناقد الموسيقي عادل الهاشمي فهو الاخر ادلى بدلوه في هذا الموضوع قائلا:

تمثل هذه التظاهرة الثقافية التي تعكس الواناً من المعارف تلك التي تصب في ينابيع الثقافة الوجدانية ، لكل البشر وعليه فان غبطتنا بهذا المعرض ستكون اعظم لو ان المسؤولين في حكومة اقليم كردستان ،يأخذون على عاتقهم نشر النتاج الثقافي للمثقف العراقي الذي يعيش وضعا خانقا من الحصار الفكري ، وسيكون هذا المعرض الكبير نوعا من الانفراج نحو ثقافة شاملة تهز الرتابة التي ترين على واقع المثقف العراقي .

معرض اربيل وصحوة العربات

ولم يكن القاص والروائي محمد مزيد ببعيد عن الموضوع فتناوله من وجهة نظره قائلا :

في محاولة لتحريك ساحة الثقافة العراقية "الملبدة بالغيوم " ياتي معرض الكتاب الدولي في اربيل لينسج قلادة في جيد عنقاء عراقية نفضت عنها الغبار وعادت الى الحياة رغم حقد العربان ، ويأتي المعرض وسط اجواء ومناخات عراقية وعربية في غاية التعقيد والالتباس ، لتنطلق هذه الفعالية مؤكدة للعالم ان هذا البلد لن يموت بالرغم من شراسة الحملة التي تريد تقويض مشاريع البناء والاعمار وتأسيس اقانيم للحياة الجديدة وللثقافة بعيداً عن كل التأثيرات ، ولعل اختيار القائمين على المعرض اربيل مكانا ينطوي على رسالتين ، الاولى ان العراقيين قراء الازمان السابقة ، مازالوا قراء للازمان الجديدة ، كعهد الاباء والاجداد ، والرسالة الثانية ان مؤسسة " المدى " تعنى بالفنون والاعلام والثقافة تنجح في اقامة هكذا فعاليات ، ولاتأبه بمنطق المتشككين المتنطعين كما هو شان دور عربية للنشر كانت " عريقة " ربما سترتعد فرائصها عندما تسمع ان المدى اقدمت ، او اقدم مسؤولها على اقامة مهرجان للثقافة بمعرض دولي للكتاب تحضر فيه اكثر من ثلاثمائة دار ومؤسسة للنشر . ان العربان المتربصين بالحياة العراقية الجديدة والمتقوضين المتشككين بنشاطاتها سيجدون في معرض اربيل للكتاب الدولي فرصة جديدة للكلام في اللامعنى ، ويكفينا فخرا ان العرب الاصحاء هم المساندون لحياة جديدة يزدهر فيها الكتاب .

مهمة حضارية كبرى

وكانت للناقد المسرحي والاعلامي حسب الله يحيى مداخلته في الموضوع اذ قال :

يهمنا جداً ان نتواصل مع المعطيات الثقافية والفكرية مع العالم ، ذلك ان العراق يشهد في الوقت الحاضر ، عزلة دولية من ناحية تقوم على السياسة اولا الى جانب العناصر الاخرى المتعلقة بالقنوات الاعلامية والاتصالات المختلفة التي تخدم حركة الكتاب . وقد عرفت المدى بدقة انتقاءاتها للكتب التي تتولى اصدارها وترجمتها وبالتالي تشكل مبادرتها في اقامة معرض دولي للكتاب جزءا من مهمة حضارية كبرى نحتاج اليها تماما في وقت تغيب فيه وزارة الثقافة كلياً ، واصبحت في عزلة تامة ليس عن الكتب وحدها ، وانما عن كل مايمت بصلة للثقافة والمثقفين وبالتالي تحولت الى مجرد دائرة للصادرة والواردة والثرثرة التي تعد بالكثير ولاتحقق سوى المزيد من الاصفار.

تظاهرة ثقافية وطنية

القاص والمترجم التربوي حسين الجاف اثنى على قيام المعرض بقوله :

هذه تظاهرة ثقافية كبيرة على المستوى الوطني تقام في عاصمة اقليم كردستان اربيل العزيزة ، نتيجة الجهود المضنية والكبيرة التي تبذلها مؤسسة المدى مشكورة ورئيسها الاستاذ فخري كريم ، ونأمل في ان توجه الدعوة الى وفد من وزارة التربية لشراء الكتب التي تحتاجها مكتبات وزارة التربية ، والاطلاع على احدث معطيات العلوم الجديدة في مجالات التكنلوجيا والطب والاجتماع . وكذلك التطور العمراني في اقليم كردستان . وهذه الحالة تنعكس ايجابيا على مستوى العلاقات الاخوية بين ابناء الشعب العراقي الواحد الذي نأمل جميعا ان نتمكن من بنائه على اسس الديمقراطية والفيدرالية وتحقيق الحياة الافضل لكل ابناء الشعب العراقي .

فعل بطولي وتحريك للجو الثقافي

وتناول القاص صلاح زنكنة المعرض الذي عده حدثاً ثقافيا مهما وهو يقول :

حدث ثقافي استثنائي ذلك الذي سيجري في اربيل ، واقصد به معرض الكتاب الدولي الذي تقيمه مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون ، ستكون هنالك مشاركة كبيرة لاكثر من ثلاثمئة دار نشر عربية واجنبية ، والاف العناوين العلمية والادبية والفلسفية . انها تظاهرة عظيمة تصب لصالح الثقافة العراقية التي برغم الظروف الصعبة لم تتنازل عن اشتراطاتها الابداعية . ان ما تقوم به مؤسسة المدى ، هو عمل كبير ، وفعل بطولي ، وتحريك للجو الثقافي ووقفه بوجه الارهاب واصحاب النيات السيئة الذين يحاولون تهميش الموقف العراقي البطولي . أما اقامة هذا المعرض في كردستان ، فهي دليل على وجود الامن في هذا الاقليم الذي بات حاضنة . لكل العراقيين وليس للكرد وحدهم والدليل ان معظم النشاطات الثقافية العراقية تقام هناك ، ومنها اسابيع المدى ، فضلاً عن احتضانها عدداً من الصحف التي كانت تصدر في بغداد ، وغادرت الى هناك من اجل الامان والبحث عن منفذ للحرية اوسع ابارك هذه الخطوة .

نجحت المدى وعجزت وزارة الثقافة

وكان للقاص والاعلامي محمد اسماعيل رأيه بهذا العرس الثقافي اذ قال : (اجد في قيام هذا المعرض فرصة سانحة لبيان التفاوت بين جدية (المدى) وتلكؤ وزارة الثقافة فقد عجزت الوزارة بكل الثقل الحكومي الذي يدعمها عن انجاح المربد او مهرجان بابل الثقافي او سواه من الانشطة ، بينما افلحت المدى بجهد شخصي من الزميل الاستاذ فخري كريم الذي استطاع تكوين شراكة ابداعية لترصين الثقافة العراقية ، التي تتهافت بحكم تعاقب الحروب والحصار والارهاب والديمقراطية الشوهاء ، .. معرض الكتاب الذي حشد ثلاثة الاف دار نشر ، بشكل تعجز عنه حكومة العراق ذاتها . وان لم تعجز فهي لاتريد (؟!) . عودا على بدء ، اقول : قربت المدى احلاما كثيرة من ارض الواقع في الثقافة العراقية ، فهذا المعرض أنموذج لما يتمناه المثقف العراقي ، الا وهو العوم ... سباحة وغوصا .. في بحر الاصدارات الحديثة المتلاحقة في العالم ، ثانية .. ثانية ، بحيث نذهب معه الى مافاتنا . ومع ذلك حرصت المدى على اقامة ما يمكن اقامته في بغداد برغم الوضع الامني بفعاليات سبقت هذا المعرض واخرى تنتظرها ، لقد اكدت جدية (المدى) بشكل نتوسم فيه ان يعوض امية الادارة الرسمية للثقافة .

الحياة لاتستقيم بدون الكتاب

اخر المتحدثين كان القاص والمحامي محمد علون جبر الذي تناول الموضوع قائلا :

يعد معرض اربيل الدولي للكتاب في اربيل حدثا مهما وبارزاً في تأريخ الثقافة العراقية ، وربما جاء رداً على حرق شارع المتنبي في العام الماضي فكما عرفت فأن هنالك ثلاثمئة دار نشر عربية واجنبية تشارك فيه ، والاف العناوين التي توزعت مابين الفلسفة والتاريخ والاقتصاد والسياسة وغيرها وهذا بحد ذاته حدث مهم يأتي في ظرف صعب نعيش فيه ، ونبرهن من خلاله على ديمومة الفعل الثقافي الحقيقي . ان المراهنة التي تقوم بها المدى على الثقافة ، هي مراهنة رابحة حتماً لان الحياة لاتستقيم بدون الكتاب كونه الفكر والمحرك والديمومة . واقامة المعرض في اقليم كردستان في الحدث الاهم كونه مكاناً أمناً ، وجزءاً مهماً من العراق ابارك للمدى خطوتها هذه ، وبانتظار خطوات اخرى لتفعيل الموقف العراقي البطولي .

خاتمة

بعد هذا الاستطلاع ، ثمة سؤال طرحه علينا عدد من المثقفين من الذين ساهموا في الاستطلاع ام سواهم : هل تتكرر اقامة معرض اربيل الدولي ؟ وهل تستطيع مؤسسة المدى ان تجعله قائما ليتزامن مع فعاليات اسبوع المدى الثقافي ، الذي يقام في اربيل ايضاً نهاية هذا الشهر؟